النشاط الإنساني للثورة الجزائرية بمراكز اللاجئين وأثره على العلاقات الجزائرية – المغاربية: نشاط الهلال الأحمر الجزائري نموذجا.

أ. مقلاتي عبد الله

جامعة أدرار

تعد مشكلة تحديد الرؤى الأيدولوجية للثورة الجزائرية وتأصيل أبعادها المختلفة إحدى الموضوعات الشائكة في مجال البحث التاريخي لتوضيح مرامي جبهة التحرير الوطني الكفاحية، ونحاول في موضوعنا استعراض البعد الإنساني للثورة الجزائرية على ضوء النشاط الاجتماعي الذي تكرس بمراكز اللاجئين في تونس والمغرب ومن خلال نشاط هيئة الهلال الأحمر الجزائري ونوضح انعكاسات هذا النشاط على علاقات الثورة الجزائرية على بلدان المغرب العربي.

وننطلق من تساؤل مركزي محوره : (ماهي أبعاد النشاط الإنساني والاجتماعي التي كرستها الثورة الجزائرية ببلدان المغرب العربي، وماهي حدود تأثر هذه البلدان بتلك الأبعاد ومدى تجاوبها مع هذا النشاط الإنساني على ضوء علاقاتها مع الثورة الجزائرية) نرم استعراض الجهود الإنسانية المبذولة للتكفل باللاجئين وإبراز أبعاد نشاط الثورة الجزائرية الإنساني وآثاره على مواقف المغرب العربي.

أولا: تكرس الاهتمام الاجتماعي – الإنساني للثورة الجزائرية على ضوء تطور مشكلة اللجوء الجزائري.

كان لتطور حرب الجزائر بصورة غير متوقعة امتدادات متشعبة في بلدان المغرب العربي وأصبح لها انعكاسات كبرى على أوضاعها الداخلية، ولعل أهم انعكاس ترتب عن هذه الحرب هو اضطرار الآلاف من الجزائريين للجوء إلى البلدان المجاورة، وقد كانت تتواجد بتونس والمغرب جالية جزائرية معتبرة انضافت إليها منذ اندلاع الثورة الجزائرية أعداد ضخمة من اللاجئين. فظهر مشكل الاجئين الذي أكد الحضور الاجتماعي القوي للجزائريين بهذين القطرين، إضافة إلى الحضور السياسي والعسكري وقد أبدت شعوب المغرب العربي أزاءه أشكالا مختلفة من التضامن والتساند الأخوي وبشكل جعل السلطات الرسمية تتجاوب مع تحمل تبعات الحضور الجزائري[1].

(*) هناك اتفاق بين الدارسين لتاريخ الثورة الجزائرية في اعتبار أن مصطلح اللاجئين يطلق على مجموع الجزائريين الذين اضطرهم ضروف الحرب لترك البلاد واللجوء إلى تونس والمغرب، يشمل مصطلح الجالية الجزائرية المتواجدة بهما من قبل كما لا يشمل المهاجرين بفرنسا، ينظر الجنيدي خليفة وآخرون: حوار حول الثورة، ط1، المركز الوطني للتوثيق والصحافة والإعلام، الجزائر، 1986 : ج3،ص45.

وهناك من الباحثين من يخلط بين مصطلحي لاجئ ومهاجر، إذ يعرف عمار بوحوش مثلا مصطلح اللاجئ أنه أي شخص خرج من الجزائر مكرها وتوجه إلى بلد آخر للإقامة به خلال فترة الاحتلال من سنة 1830 وإلى غاية 3 جويلية 1962، ينظر الفصل الرابع والعشرون "وضعية اللاجئين الجزائرين خلال حرب التحرير وبداية الاستقلال" من كتاب، بوحوش عمر: التاريخ السياسي للجزائر: ط1، دار المغرب الإسلامي، بيروت،1997،ص542.

إن السلطات الفرنسية كانت ترمي من وراء سياسة القمع والطرد لسكان الحدود الشرقية والغربية الجزائرية إلى عزل الشعب عن المقاومين وخلق مشاكل للثوار الجزائريين إضافة إلى عزل الجزائر عن تونس والمغرب وإثارة الصعوبات لحكومتي البلدين الفتية لتكف عن دعمها للجزائريين، ولكن مشكل اللاجئين الجزائريين بالرغم من أعبائه الاجتماعية سوف يؤكد على ترابط الوشائج الاجتماعية بين شعوب المغرب العربي واندماج القضية الجزائرية في السياسة التونسية والمغربية، وقد استغلته جبهة التحرير الوطني عنصر ضغط على الحكومة الفرنسية أمام الرأى العام الدولي. خاصة وأن قضية اللاجئين بالنسبة لأية دولة تكون "ورقة رابحة" إذا ما عرف استغلالها على مختلف الأصعدة المحلية والدولية[1].

ولم تكن هذه الحقيقة لتخفى على المسؤولين الجزائريين، إذ يسهل علينا تلمس الأبعاد الاجتماعية والإنسانية المكرسة والجهود المبذولة للعناية بقضية اللاجئين، وكذا تفحص النتائج الإيجابية من خلال الصدى الدولي المحقق والدور الهام الذي هيئ اللاجئين القيام به لصالح الثورة الجزائرية بقاعدتي تونس والمغرب، ودون

---

[1] ــ خصصنا في بحثنا المقدم لنيل درجة الماجستير مبحثا للدعم الاجتماعي المغاربي المقدم للاجئين الجزائريين. ينظر، مقلاتي عبد الله : دور بلدان المغرب العربي في دعم الثورة الجزائرية، رسالة ماجستير مخطوطة، إشراف الدكتور حميدة اعميراوي، قسم التاريخ، جامعة قسنطينة، 2000-2001،ص-ص،190-228.

[1] ــ ينظر، الجنيدي خليفة وآخرون: المرجع السابق،ج3، ص48.

تفصيل للنتائج المحققة سنحاول أن نستعرض تطور مشكل اللجوء الجزائري، وجهود جبهة التحرير الوطني الاجتماعية والإنسانية في التكفل باللاجئين.

بدأت هجرة السكان الجزائريين باتجاه القطرين المجاورين منذ اندلاع الثورة الجزائرية، وتزايدت حركية نزوحهم مع اشتداد رقعة الحرب، إذ تعرض سكان الحدود الشرقية والغربية لمضايقات الجيوش الفرنسية وأعوانها، وقررت السلطات الفرنسية منذ سنة **1956** إجلاء كل سكان المنطقتين بالقوة في محاولة منها لغلق الحدود وعزل الثورة الجزائرية بالداخل فقامت القوات الفرنسية بمطاردة السكان وتقتيلهم وتدمير القرى والمداشر وإحراق الأمتعة والمزارع، واضطر السكان من الشيوخ والنساء والأطفال- بعد أن تجند الرجال أو تم اعتقالهم — للفرار بأنفسهم واللجوء إلى القطرين المجاورين[1]، وأقيمت لهم الملاجئ بالأراضي التونسية والمغربية ظلوا يقاسون فيها الجوع والعري والإمراض، وفي ظل هذه الظروف طرحت جبهة التحرير الوطني قضية اللاجئين الجزائريين الذين يتعرضون للمآسي الإنسانية، ووضعت كل إمكانياتها لمساعدة اللاجئين وإسعافهم قبل تظافر الجهود الدولية ووصول المساعدات. وفي صيف سنة **1957** بدأت القوات الفرنسية مشروعها لتطهير منطقة الحدود الشرقية الجزائرية تمهيدا لإقامة الأسلاك الشائكة (خط

---

[1] ـــ ينظر، المجاهد، لسان حال جبهة التحرير الوطني، مطبعة لابراس، تونس : العدد 12 (15 نوفمبر1957) ص3.

موريس) وأصبح سكان هذه المنطقة من القالة شمالا وحتى الصحراء جنوبا مهددين بالمطاردة والقتل، وفي هذه المرة كانت مأساة اللاجئين الذين نزلوا بتونس كبيرة إذ وصلوا بأعداد ضخمة وهم منهكون وفقراء معدمون من كل ضرورات العيش[1]. وشنت القوات الفرنسية بالجزائر في بداية سنة 1958 حملات مطاردة وهجوم على ملاجئ الجزائريين بمناطق الحدود التونسية والمغربية بحجة تتبع الثوار، كما ازدادت عمليات اجتياح وتدمير القرى بالحدود خاصة بعد قصف ساقية سيدي يوسف في **8 فيفري 1958** وما تلاها من إجراءات فرنسية بإنشاء المحتشدات داخل الوطن، وقرار إنشاء المناطق المحرمة على الحدود وإقامة خطي موريس وشال، فأخذت قوافل اللاجئين تتدفق على تونس والمغرب بأعداد ضخمة وهم في حاجة ماسة للإعانة والإغاثة وقد قدرت أعداد اللاجئين المستقرين بتونس والمغرب سنة **1958** بحوالي **350000** لاجئ منهم 50% أطفال، 35% نساء، وحوالي 15% رجال[2].

فهل اعتبرت جبهة التحرير الوطني أن هذه الفئات سوف تكون عالة عليها أم نظرت إليها بمنظار اجتماعي وإنساني مختلف؟

لم تقتصر اهتمامات الثورة الجزائرية على تنظيم جانب الكفاح المسلح لوحده بل اهتمت كذلك بالجوانب الحيوية الأخرى ذات الأبعاد الاجتماعية والإنسانية،

---

[1] ـــ ينظر، المجاهد : العدد 12(15 نوفمبر 1957) ص 3.

[2] ـــ يراجع بتفصيل، بوحوش عمار: المرجع السابق، ص-ص542 -543. والمجاهد: العدد 55 (16 نوفمبر1959) ص8.

ومثلما نهضت بتنظيم قواعدها العسكرية وهيئاتها السياسية بالقواعد الخلفية فإن انشغالاتها الاجتماعية تجلت في الاهتمام بقضية اللاجئين الذين اضطرتهم الظروف للعيش مشردين بتونس والمغرب، فتكفلت بشؤونهم باعتبارهم جزائريين منكوبين فروا من جحيم القمع الفرنسي، وتحملت جهودا معتبرة لإيوائهم ورعايتهم، و لم تقتصر مهامها على إسعاف ما يقرب من **350** ألف لاجئ والعناية بهم بل امتدت إلى هيكلت وإقامة أسس مجتمع اللاجئين كصورة مصغرة للمجتمع الجزائري الذي تأمله الثورة التحريرية حسب نظرتها للجزائر المستقلة، ونلمح فيه عناية الثورة بالفئات الاجتماعية المختلفة للاجئين من أطفال ونساء وشيوخ فلم تفكر إطلاقا أن هذه العناصر عالة عليها بل كانت تنظر بوجهة استراتيجية للاستفادة منها مستقبلا.

لقد درست جبهة لتحرير لوطني مشكل اللاجئين منذ قيامه وأولت عنايتها للتكفل بالأعداد المتزايدة منهم بتونس والمغرب، ووضعت جميع إمكانياتها لإسعافهم، ورغم أن تونس والمغرب كانتا تقدمان مساعداتها الاستعجالية إلا أن جبهة التحرير الوطني أدركت مدى حاجة هؤلاء المشردين للإيواء والتغذية والعناية والعلاج فبادت لإنشاء لجنة الشؤون الاجتماعية منذ سنة **1956** للتكفل بمساعدة اللاجئين، فعملت هذه الهيئة على إيوئهم ومدهم بالإعانات الأولية ونهضت

للتعريف بمأساتهم[1]. وأمام تعدد مهام لجنة الشؤون الاجتماعية التنظيمية والإسعافية والدعائية رأت اللجنة ضرورة خلق هيئة خاصة تكون أقرب إلى اللاجئين وتشرف على مراكزهم بتونس والمغرب فأنشأت مصلحة اللاجئين[2]. وأولت كذلك قطاع الصحة اهتماماً كبيراً فأقامت تنظيما صحيًّا محكما على مستوى جميع الملاجئ وأنشأت المركز الصحية والمستشفيات، وطورت من وسائل العلاج وأساليبه، كما اهتمت بتفعيل نشاط الهلال الأحمر الجزائري الإسعافي. ومنذ سنة **1958** شكلت وزارة الشؤون الاجتماعية للتكفل بجميع المهام والشؤون الاجتماعية الحيويه للمجتمع الجزائري خاصة اللاجئين بتونس والمغرب والذين يشكلون جالية هامة بالخارج لها مؤسساتها الاجتماعية والصحية والتعليمية، كما تشرف الوزراء على المنظمات الاجتماعية المختلفة كاتحاديات: العمال، الطلبة، النساء، وغيرها من الهيئات الثقافية والرياضية التي كانت تنشط بأماكن تواجد الاجيئين.

واهتمت الثورة الجزائرية بتنظيم المصالح الاجتماعية للجزائريين وتفعيل نشاطها، واعتنت بميدان التأطير الاجتماعي الذي نهض به المحافظون السياسيون والمرشدون الاجتماعيون، وفي الميدان التعليمي والثقافي تركزت الجهود على إنشاء المدارس

---

[1] ــ ينظر، المجاهد: العدد22 (15نوفمبر 1958) صفحة 9.

[2] ــ يراجع بخصوص مهام هذه المصلحة وهياكلها:

BEN ATIA FARUK: les actions humanitaires pendant la lutte de libération, éd,DAHLAB Alger, 1990,P;P95.96.

ووضع البرامج التعليمية والتكفل بالطلبة، كما اهتمت بهيكلة المجتمع اعتماداً على عناصره الفعالة كالمرأة والشبيبة.

ويعتبر التعليم من المهام الاجتماعية التي أولتها الثورة الجزائرية عنايتها وخاصة تعليم الأطفال أبناء الشهداء، وأبناء اللاجئين المستقرين بتونس والمغرب فأنشأت المدارس ومراكز التكوين المهني التي مكنت الشباب من الإحراز على تكوين مهني مكنهم من الاندماج في المجتمع، ولا شك أن عناية الثورة بتعليم وتكوين الآلاف من الأطفال اللاجئين هو عمل إنساني عظيم كان يهدف إلى بناء مجتمع محصن بالمعارف التي تمكنه من مواجهة المستقبل[1]، ولقي الاهتمام بالشباب عناية معتبرة لكونهم عنصر هاماً وخزاناً بشرياً في الكفاح المسلح، فعولت الثورة التحريرية على سواعدهم ومعارفهم في بناء المستقبل، أما المرأة فأسندت لها بمراكز اللاجئين مهام اجتماعية ونضالية أدتها بشجاعة وأقتدار،ورعت الثورة كذلك فئة العاجزين من شيوخ ومرضى ومعطوبين،فلقوا جميعهم كل الرعاية والاهتمام في مراكز خاصة للراحة والاستشفاء بتونس والمغرب[2].

---

[1] _ أنشأت وزارة الشؤون الاجتماعية خمس مراكز لأبناء الشهداء بتونس والمغرب وكونت في سنة 1960 هيئة مختصة بشؤون الطفولة سمتها (اللجنة الوطنية للشبيبة وإنقاذ الطفولة) كما أقام الاتحاد العام للعمال الجزائريين العشرات من دور الأطفال، ينظر، الطفل الجزائري ضحية الاستعمار : الشباب، مجلة تصدرها لجنة الشباب والرياضة لجبهة التحرير الوطني، تونس: العدد5 (نوفمبر 1959) ص-ص10-11

[2] _ ينظر، مقلاتي عبد الله : المرجع السابق،ص-ص 226 -227.

وبذلك فقد صهرت الثورة التحريرية جميع فئات المجتمع في بوتقة واحدة أسسها الإخوة والتعاون والعدالة فتقوت الوشائج الاجتماعية داخل مجمع اللاجئين بين فئات الشعب القادمين من مختلف المناطق.

ويتبين لنا أن الثورة الجزائرية ببعدها الاجتماعي ونظرتها لمستقبل الأعداد الكبرى من اللاجيئين المستقرين بتونس والمغرب بادرت للعناية باللاجيئين وأطرتهم في مؤسسات وهياكل اجتماعية نشطت حركية وفاعلية مجمع اللاجئين فأصبحوا يحسون بمختلف فئاتهم أنهم يعيشون حياة النخوة والاعتزاز بوجود مؤسسات وطنية تشرف على شؤونهم (حكومة مؤقتة – جيش شعبي).

وتتوضح لنا الأبعاد الإنسانية للثورة التحريرية سامية وعميقة في مضامنها، إذ أكدت على العناية بالإنسان والمجتمع، ورعت باستمرار الحفاظ على حقوق الإنسان في ظروف الحرب، ونددت بالأعمال اللاإنسانية وتتجلى الأبعاد الإنسانية للثورة الجزائرية بخاصة من خلال نشاط هيئة الهلال الأحمر الجزائري.

ثانيا- النشاط الإنساني للهلال الأحمر الجزائري بمراكز اللاجئين:

الهلال الأحمر الجزائري هيئة إنسانية واجتماعية أسستها جبهة التحرير الوطني بهدف الإسهام في إسعاف ومساعدة اللاجئين الجزائريين فنهضت بدور هام في

التكفل باللاجئين والمساهمة في تفعيل النشاط الدولي للمنظمات الإنسانيه وبخاصة إبراز الأبعاد الإنسانية للثورة الجزائرية[1].

لقد كانت تجربة الهلال الأحمر الجزائري في البداية صعبة للغاية منذ تمت هيكلتها في المغرب بإشراف قيادة الولاية الخامسة في **ديسمبر 1956**[2]، وبعد أخذ الموافقة من لجنة التنسيق والتنفيذ اعتمدت الجمعية بعمالة طنجة، حيث اتخذها مقرا لنشاطاتها منذ **29** ديسمبر **1956**، ويوضح الطيب الثعالبي أن "القوانين وضعت بعمالة طنجة، وفي يوم **18** جانفي **1957** أعلنت الإذاعة والصحافة في ميلاد الهلال الأحمر الجزائري"[3].

ومنذ إنشائها طالبت جمعية الهلال الأحمر الجزائري بالاعتراف الدولي بها كهيئة إنسانية ونشرت نداء إلى المجتمع الدولي تحثه على تقديم المساعدات للاجئين وباشرت بتقديم خدماتها لإسعاف الجرحى والتكفل بالمرضى الموجودين بالمغرب وتونس وطالبت باحترام معاهدة جنيف الدولية وتدويل القضية الجزائرية لكن منظمة الصليب الأحمر الدولي أصرت على رفض العمل مع الهلال الأحمر الجزائري

---

[1] ـ ELMOUDJAHID: N°17 (1février 1958),T1,PP292،293.

[2] ـ كلفت كل من شانقريحا وبن اسماعيل والصيدلي مراد بتحرير قانون جمعية الهلال الأحمر الجزائري، وتمت كتابة المشروع المستلهم أساسا من قوانين الهلال الأحمر التونسي في شهر أكتوبر 1956 ينظر،.BEN ATIAFAROUK :OP,CIT,P.80.

[3] ـ BEN ATIA FAROUK :IBID,P.80.

وأكدت أنها لا تستطيع الاعتراف بجمعية محلية لا تخضع لأية حكومة وطنية، وهذا ما جعل لجنة التنسيق والتنفيذ تقرر إعادة هيكلة وصياغة قوانين الهلال الأحمر الجزائري ونقل مركزه إلى تونس.

وفي الفترة ما بين **25–27** سبتمبر تم بتونس الاجتماع التأسيسي الذي حول جمعية الهلال الأحمر الجزائري إلى مكتب معين من طرف جبهة التحرير الوطني، وعدلت قوانينه بالشكل الذي يحقق الاستجابة الدولية للاعتراف به كهيئة تشكلت بالجزائر وتمارس نشاطها على مستوى القطر الجزائري، معروفة لدى جبهة التحرير الوطني وقوانينها وضعت لدى هذه الأخيرة[1]، وخلال الاجتماع تشكل المكتب الإداري الذي ضم: بوكلي حسان رئيسا، وبن باحمد نائب أول، بوقرموح مولود نائب ثاني، ومكاسي مصطفى أمينا عاما، وبن تامي الجيلالي ممثلا دائما لدى هيئة الصليب الأحمر الدولي[2].

وقد أعطت هذه الهيكلة الجديدة للهلال الأحمر الجزائري دفعا قويا لتفعيل نشاطاته الاجتماعية المتنوعة ففي المغرب – حيث ظل الرئيس بوكلي مستقرا بالرباط – توسعت فروع الهلال الأحمر الجزائري للتكفل باللاجئين، وبذل مكتب

---

[1]ــ حسب ما جاء في المادة الأولى من ميثاقها ينظر:
BEN ATIA FAROUK :IBID (ANNEXE III).

[2]ــ ينظر تشكيلة مكتب الهلال الأحمر الجزائري ومهامها:
BEN ATIA FAROUK :OP, CIT, P.83

الهلال الأحمر الجزائري مساعيه لكسب التضامن المغربي وجمع التبرعات والمساعدات، كما كان يستقبل المساعدات الدولية ويقوم بتوزيعها على اللاجئين بالإضافة إلى مهمته الأساسية المتمثلة في إسعاف اللاجئين ومداواة المرضى[1] وعمل على تنسيق نشاطه مع المصالح الصحية ومع هيئة الصليب الأحمر الدولي التي كانت تشرف كذلك على توزيع المساعدات الإنسانية، وقد لوحظ تزايد اهتمامها باللاجئين الجزائريين إثر موافقة جبهة التحرير الوطني على مبدأ إطلاق سراح أسرى الحرب فأصبحت تقدم كميات معتبرة من الأدوية والمواد الغذائية[2].

وبتونس حيث كان بن باحمد النائب الأول المكلف بالشرق يشرف على نشاطات الهلال الأحمر الجزائري، ورغم الإمكانيات القليلة للهلال الأحمر الجزائري خلال هده الفترة وعدم تمكنه من كسب امتياز الإشراف الكلي على توزيع المساعدات الدولية فإنه كان يقدم إسعافاته لعشرات الآلاف من اللاجئين للمرضى والمعوزين، كما يتكلف بإعانة مصلحة اللاجئين وينهض بأعباء التنظيم والتوزيع واستقبال الإعانات الدولية[3].

وارتكز النشاط الدولي للهلال الأحمر الجزائري على طرح قضية اللاجئين أمام الرأي العام الدولي والمطالبة بتقديم المساعدات الإنسانية لهم، و لم تنفك جهود ممثل

---

[1] ـــ ينظر المجاهد:العدد 42 (18 ماي 1959) ص2.

[2]— BEN ATIA FAROUK : op.cit.P.84.

[3] ـــ ينظر، المجاهد: العدد 58 (28 ديسمبر 1959)ص 9.

الهلال الأحمر الجزائري بجنيف السيد بن تامي تؤكد مسألة الاعتراف الدولي بالهلال الأحمر الجزائري لكن ردود هيئة الصليب الأحمر الدولي كانت بالرفض نتيجة الضغوط الفرنسية وبحجة أن جمعية الهلال الأحمر الجزائري لم تشكل على المستوى الوطني وأنه لا توجد حكومة وطنية جزائرية، وحتى وإن لم يكن هناك اعتراف رسمي من قبل الهيئة إلا أن اتصالات ومساعي بن تامي حققت مكاسب دولية للهلال الأحمر الجزائري وجلبت الكثير من المساعدات الإنسانية للاجئين[1]، وقام الهلال الأحمر الجزائري بإرسال العديد من وفوده إلى الدول الصديقة والشقيقة لتمثيل الجزائر وطلب المساعدات للاجئين، ففي أكتوبر 1957 وجه وفودا عنه إلى كل من ألمانيا الشرقية والصين وحقق بذلك اعتراف العديد من الهيئات والمنظمات الإنسانية.

وخلال الندوة الدولية للصليب والهلال الأحمر الدولي بنيودلهي من 24 أكتوبر 1957 إلى 7 نوفمبر 1957 تمكن ممثلو الهلال الأحمر الجزائري من حضور المؤتمر وتأكيد مطالبهم بالرغم من عدم اعتراف المؤتمر بشرعية تمثيلهم[2]، ومثل

---

[1] ـ IBID P,84

[2] ـ الهلال الأحمر الجزائري لم يشارك في الندوة كهيئة رسمية وإنما استطاع بفضل تضامن جمعيات الهلال الأحمر للدول العربية إدماج نواب عنه ضمن وفودهم وإقناعهم بتبني مطالبه، إذ شارك كل من بن باحمد وبن تامي والشريف قلال ضمن وفد الهلال الأحمر السوري. ينظر، BEN ATIA FAROUK ; OP.86.

مطلب مساعدة اللاجئين الجزائريين من طرف الهلال الأحمر التونسي وحصل على إجماع الدورة العامة، كما قدم الوفدان التونسي والليبي مطلبا ثالثا يتمثل في حماية المدنيين الجرحى وإرسال فرق طبية إلى الجزائر، لكنه لم ينل الموافقة[1]، في حين صادق المؤتمر على العريضة المقدمة من طرف سوريا ولبنان والمتمثلة في حرية بيع المواد الطبية بالجزائر[2].

وفي ختام هذه الندوة العالمية صادق المؤتمرون على لائحة تدعوا المنظمات الإنسانية إلى تقديم مساعداتها للاجئين الجزائريين وجاء فيها "بما أن عددا كبيرا من الجزائريين معظمهم من النساء والأطفال اضطرهم حوادث الجزائر إلى الهجرة فجأة إلى تونس والمغرب وبما أن أغلبية هؤلاء اللاجئين المتزايد عددهم كل يوم يوجدون في حالة احتياج تام .. وبما أن الإعانات التي قدمتها الحكومتان التونسية والمغربية واللجنة الدولية للصليب الأحمر، وجمعية الهلال الأحمر التونسي وجمعيات أخرى متمسكة بمبادئ الهلال الأحمر، لم تكف لدفع الخطر الكبير الذي يهدد حياة هؤلاء

---

[1] — IBID.

[2] — يراجع بالتفصيل جهود الوفد التونسي والوفود العربية في الدفاع عن قضية اللاجئين خلال المؤتمر،والحديث الذي خص به مندوب تونس بشي قايد سبسي جريدة المجاهد : العدد 13(1 دسمبر 1957)ص8.

الضحايا البريئة للحرب .. فإن المؤتمر .. يوجه للعالم نداءا حثيثا لكي تتحقق مثل هذه المساعي في فائدة اللاجئين الجزائريين"[1].

وبعد هذا النداء الدولي الأول من نوعه الذي جلب انتباه الرأي لما يعانيه اللاجئون الجزائريون بدأت العديد من المنظمات الإنسانية ترسل مساعداتها إلى تونس والمغرب، خاصة هيئة الصليب الأحمر الدولي لكن مساعداتها كانت محدودة ولا تفي بحاجيات اللاجئين الذين تضاعفت أعدادهم، وهو ما كان يشير إليه دوما الهلال الأحمر الجزائري فعند اجتماع مكتبه بتونس في **20** ماي **1958** طالب بمضاعفة المساعدات الدولية لجموع اللاجئين المتزايدة وقد أحصى تونس وحدها **129000** لاجئ جزائري وأكد أن الأرقام المقدمة للمنظمات الإنسانية هي أقل بكثير عن هذا الرقم مما يؤدي إلى نقص المساعدات[2].

ورغم هذا النشاط الدولي والاجتماعي الواسع للهلال الأحمر الجزائري فقد جابهته عدة صعوبات حدت من فعالية مهامه، ومنها عدم تحقق الاعتراف الدولي به وعدم وجود التنسيق بين هيئاته الموزعة بين تونس والمغرب، كما أن هيئة الصليب الأحمر الدولي رفعت انتقاداتها فيما يخص تسيير الهلال الأحمر الجزائري ومراقبة توصياته التي يجب أن تكون خاضعة لجبهة التحرير الوطني[3].

---

[1] ـــ ينظر نص اللائحة كاملا بـــ المجاهد:العدد 14 (15 ديسمبر1957)،ص4.

[2] ـــ BEN ATIA FAROUK :OP,CIT،P.93.94.

[3] ـــ IBID P.82.

وأحست لجنة التنسيق والتنفيذ من جهتها بانعدام التنسيق بين أعضاء المكتب الإداري للهلال الأحمر الجزائري الموزعين بين تونس والمغرب، قد أدلى مهري إثر عودته من المغرب بتصريح أشار فيه إلى ازدواجية تمثيل المنظمة بشكل يزيد من عزلتها إذ أن رئيس الهلال الأحمر الجزائري المستقر بالرباط ضرب حاجزا ضد نوابه بتونس والمكتب الإداري بتونس ينشط بعيدا عن توجيهات الرئيس[1]، وعليه دعت لجنة التنسيق والتنفيذ مسيري الهلال الأحمر الجزائري إلى اجتماع عام بتونس في شهر أكتوبر **1958** تم خلاله إعادة تنظيم وهيكلة الهلال الأحمر الجزائري وأصبح بن باحمد رئيسا له ووضع تحت وصاية وزارة الشؤون الاجتماعية[2].

ثالثا - أبعاد النشاط الإنساني على دائرة المغرب العربي وأثره على العلاقات الجزائرية -المغاربية

إذا كانت قضايا النشاط السياسي والعسكري الجزائري قد أثارت مراراً حساسية الأطراف المغاربية وأزمت العلاقات بينها وبين جبهة التحرير الوطني فإن مسألة النشاط الاجتماعي والإنساني للثورة الجزائرية بهذه الأقطار لقيت تجاوبا ومؤازرة شعبية ورسمية معتبرة، نظراً لخصوصيات هذا الجانب الإنساني وطبيعة نشاطه المتميز، وبحكم أنه لا يعرض لمشاكل وصعوبات تمس الأنظمة السياسية

---

[1] — IBID.

[2] — ينظر، المجاهد: العدد 58(28 ديسمبر 1959)ص9.

ويمكننا أن نتتبع انعكاسات النشاط الإنساني للهلال الأحمر الجزائري على العلاقات الجزائرية- المغربية من خلال استعراض المواقف المغاربية من نشاطاته جهوده على المستويين المحلي والدولي ومن توجهاته في إبراز الرؤى الإنسانية للثورة الجزائرية.

وجد الهلال الأحمر الجزائري بتونس دعما حكوميا وشعبيا، إذ قدمت له الحكومة التونسية مساعدات مادية ومعنوية معتبرة وعملت على تسهيل نشاطاته، أما مساعدات السكان التضامنية فكانت تخفف كثيرا من معانات اللاجئين ومثلت موردا هاما لنشاط الهلال الأحمر الجزائري[1]، وبدوره الهلال الأحمر التونسي كان مجندا لتقديم المساعدات للاجئين، وقد أسندت له هيئة الصليب الأحمر الدولي مهمة توزيع المساعدات، فكان يعمل بالتعاون مع الهلال الأحمر الجزائري، ورغم توطد الصلات بين المنظمتين إلاّ الهلال الأحمر الجزائري كانت تواجهه بعض الصعوبات في تأدية مهامه تتعلق خاصة باحتكار الهلال الأحمر التونسي لتوزيع المساعدات الدولية حسب معطياته الخاصة، وتسبب هذا في سوء التوزيع، وعدم وصول المساعدات إلى جميع مراكز اللاجئين[2].

وقد طالب الهلال الأحمر الجزائري بإشراكه في توزيع المساعدات لتسهيل توزيع مخزون المساعدات الموجهة للاجئين، ووعده رئيس الهلال الأحمر التونسي بذلك

---

[1] ـــ المجاهد: العدد 12(15 نوفمبر 1957)،ص3.

[2] ـــ BEN ATIA FAROUK:OP,cit : p,p 95,99.

منذ جانفي **1958**، وتأخرت الاستجابة ليتأكد في سنة **1958** أن الحكومة التونسية تحرص على أن يتم التوزيع عن طريق الهلال الأحمر التونسي[1]، وعليه فإن المساعدات المرسلة للاجئين كانت توزع منذ أفريل **1958** بطريقتين:

- المساعدات التي توجهها كل دولة باسمها الخاص يقوم الصليب الأحمر الدولي والهيئات الدولية الأخرى باستقبالها وتسليمها للهلال الأحمر التونسي ليشرف على توزيعها.

- المساعدات التي تبعث بها الدول المانحة مباشرة باسم الهلال الأحمر الجزائري يتم توزيعها إما عن طريق هيئة الصليب الأحمر الدولي أو مباشرة بواسطة الهلال الأحمر الجزائري[2].

وواجه الهلال الأحمر الجزائري مشكلة فرض الضرائب الجمركية على المساعدات الموجهة باسمه الخاص إلى تونس، فتقدم في **جويلية 1958** وفد من الهلال الأحمر الجزائري إلى مدير الجمارك لطرح موضوع الإعفاء من الحقوق الجمركية وتسريح السلع والمساعدات الممنوحة، فاستقبله بلطافة ونصحه بالتقرب إلى وزارة التجارة أو وزارة المالية فهما المعنيتين بحل هذا المشكل وبفضل تدخل الهلال الأحمر التونسي ووساطته حلت المشكلة وأصبح يتسلم ما يقدم له من مساعدات دون دفع الضرائب الجمركية عنها[3]، واتخذت الحكومة التونسية في **11 نوفمبر 1960** إجراءا هاما لصالح الهلال الأحمر الجزائري إذ صدر مرسوم من وزارة المالية

---

[1] — ibid: p 96.

[2] ـ ينظر،المجاهد:العدد 42(18 ماي 1959)،ص2.

[3] — BEN ATIA FAROUK:,ibdi,p 95.

والتجارة يتضمن الاستفادة الجمركية للهلال الأحمر الجزائري، وسمح له باستقبال دفعات المساعدات واستيراد البضائع والأجهزة مع الإعفاء من الضرائب ودون دفع الحقوق الجمركية[1].

وأكد الهلال الأحمر الجزائري تعاونه وعلاقته الطيبة مع الهلال الأحمر التونسي، وكان هذا الأخير وبالإضافة إلى جهوده الإسعافية يتدخل باستمرار لتشجيع المساعي الإنسانية للهلال الأحمر الجزائري، ويحي باستمرار سماحة الثوار الجزائريين ومواقف جبهة التحرير الوطني النبيلة في العمل على إطلاق سراح الأسرى، ويشجب ما تقوم به القوات الفرنسية من أعمال إجرامية بالجزائر، كما توسط مرارا لإطلاق سراح الأسرى الفرنسيين وعناصر اللفيف الأجنبي، وقام بالإجراءات اللازمة لتسليم بعضهم لقنصليات بلدانهم بتونس[2]، وواظب على حضور حفلات تسليم الهلال الأحمر الجزائري للأسرى إلى ممثلي الصليب الأحمر الدولي[3].

---

[1] ـ BEN ATIA FAROUK:OP,CIT,p 96.

[2] ـ IBID:p,p 95,99.

[3]ـ ينظر رسالة من الهلال الأحمر التونسي إلى رئيس الهلال الأحمر الجزائري مؤرخة في جوان 1959 يبلغه فيها بإتمام إجراءات تسليم أسير دنمركي لقنصلية بلاده بتونس ويشكره على موقفه الإنساني: BEN ATIA FAROUK.IBID(ANNEXE IV).

إن هذه المواقف التضامنية والجهود الجبارة التي نهض بها الهلال الأحمر التونسي طوال فترة الثورة التحريرية تعتبر بحق إسهامات معتبرة وضروبا من التضحية والمناصرة، ولعل ذلك جعل الرئيس بورقيبة يصرح في إحدى المناسبات الوطنية في أفريل **1962** أمام مسمع وفد الحكومة الجزائرية المؤقتة أنه "كان للهلال الأحمر التونسي يد بيضاء في إغاثة إخواننا"[1]، ولكن الإصرار التونسي على تسلم وتوزيع المعونات الإنسانية أظهر النوايا الضيقة التي تتمسك بها السلطات التونسية والهلال الأحمر التونسي على حساب القضية الجزائرية.

ولقي الهلال الأحمر الجزائري بالمغرب دعما لنشاطاته منذ أن استقر بطنجة حيث كان يشرف على تقديم المساعدات للاجئين والإسعافات للجرحى والمرضى، ويقوم بجمع التبرعات من الموسرين الجزائريين والمغربيين، وساهمت السلطات المغربية في تقديم المساعدات الضرورية للاجئين، وكان لمكتب المساعدات الوطنية والهلال الأحمر المغربي دور هام في معاضدة الهلال الأحمر

---

[1] ـ في جوان 1959 وفي حفل تسليم الأسير جان جاك الفرنسي بمقر الفرع المحلي للهلال الأحمر التونسي بغار الدماء شكر رئيس الهلال الأحمر الجزائري بن حامد مساعي وجهود الهلال الأحمر التونسي لمساعدة هيئته، وقد حضر الحفل كذلك مندوب عن الحكومة التونسية وممثل الصليب الأحمر الدولي والكاتب العام للهلال الأحمر التونسي وممثلوه بغار الدماء - ينظر. المجاهد: العدد 44 (14جوان 1959)ص14.

الجزائري وجمع المساعدات الغذائية والطبية للاجئين[1]، كما استعان المغرب في وقت مبكر بهيئة الصليب الأحمر الدولي والمنظمات الإنسانية لتقديم مساعداتها للاجئين الجزائريين. وكانت مساعدات هيئة الصليب الأحمر الدولي بالمغرب جد معتبرة مقارنة بتونس، وقدمت في كثير من المرات لممثلي جبهة التحرير الوطني بالمغرب كميات هامة من الأدوية والمساعدات سعيا منها لتسهيل الحصول على أسرى الحرب الفرنسيين[2]، كما كانت توزع مساعداتها بواسطة ممثلها بالمغرب بالتعاون مع مكتب المساعدات الوطنية المغربية أما تعاملها مع الهلال الأحمر الجزائري فلم يكن تعاملا رسميا، وقد وجهت له انتقاداتها ورفعت تحفظاتها بخصوص المهام الموكلة لمكتب المساعدات الوطنية المغربية في توزيع المساعدات، ففي إحدى اجتماعاتها بالرباط في **15 أكتوبر 1958** طرحت بعض الصعوبات المرتبطة بتوزيع المساعدات إذ رفضت اعتبار المغربيين القادمين من الجزائر كلاجئين، لكن مكتب المساعدات الوطنية رد بقوله: "أنه احتكاك عابر بسبب المشاكل الملازمة لكل الإقامات"[3]، ولم تكن هذه الاحتجاجات سوى تشكيك في المهام الإنسانية التي ينهض بها مكتب المساعدات الوطنية بين أوساط اللاجئين ذلك أن الهلال الأحمر الجزائري كذلك كان عندما يقدم إسعافاته للاجئين لا يفرق بين المغربيين

---

[1]ـــ دمق محمد: وفاء للشهداء، شركة العمل للنشر،تونس، 1968،ص82.

[2] — BEN ATIA FAROUK:,ibdi,p 92.

[3] — BEN ATIA FAROUK:OP,cit:p,p 92.

والجزائريين كونهم أتوا من الجزائر هروبا من بطش الاستعمار ويتعرضون لنفس الظروف الصعبة[1].

لقد أكد الهلال الأحمر المغربي وقوفه خلال الثورة التحريرية إلى جانب الهلال الأحمر الجزائري وساهم بقسط وافر في تسهيل مهامه ومعاضدة نشاطه فكان يقوم بدوره بإسعاف المرضى وتوزيع المساعدات على اللاجئين ويسهر على تنظيم الاكتتابات التضامنية، وقد دفع في سنة **1958** ما يقرب من مليون فرنك فرنسي و **500 طن** من القمح كمساعدة جمعت للاجئين[2].

وقد ساهمت الحكومة المغربية والهلال الأحمر المغربي في تسهيل مهمة إطلاق سراح الأسرى الفرنسيين، إذ عبر مسؤولوا الثورة عن العلاقة الحميمة التي تربطهم بالمغرب وجسدوا هذا الشعور في تلبية طلب الحكومة المغربية بإطلاق سراح الأسرى فوق ترابها، وهو ما جسده الهلال الأحمر الجزائري منذ سنة **1959**[3] بالتنسيق مع الحكومة المغربية التي سهلت المهمة وأعطتها بعد دعائيا، ولايخفى ما كان لهذه المهام الإنسانية من فوائد لصالح القضية الجزائرية إذ أبرزت بعدها

---

1 ـ المجاهد: العدد 14(15 ديسمبر 1957)ص.4.

— BEN ATIA FAROUK:,ibdi,p 92.

3 ـ ينظر،المجاهد:العدد 27(22 جويلية 1958)،ص2.

الإنساني أمام الرأي العام وفضحت السياسة الفرنسية، وكسبت تأييد المنظمات الدولية لمضاعفة مساعدتها للاجئين الجزائريين.

كما وجه مسؤولو الثورة الجزائرية عنايتهم بخاصة إلى وضعية الشبان الأجانب الذين جندتهم فرنسا في فرق اللفيف الأجنبي فعملت الحكومة الجزائرية المؤقتة على فتح عدة مكاتب بالمغرب مهمتها إعادة الجنود الأسرى إلى أوطانهم، وقدرت أعداد الأسرى الذين أطلق سراحهم عبر الحدود المغربية الجزائرية بـ **3299** جنديا[1] وكان يتم تجهيز هؤلاء للعودة إلى أوطانهم بالتنسيق مع السطات المغربية حيث يمنح كل جندي مبلغا ماليا وتذكرة سفر وتقام بالمناسبة حفلات خاصة يحضرها المسؤولون المغربيون، ويمكننا أن نذكر على سبل المثال أن حفل تسليم إحدى عشر أسيرا بتاريخ **04 أكتوبر 1960** انتظم بحضور ممثلي الحكومة الجزائرية المؤقتة بالمغرب وأحمد العلمي

[1] ـــ ينظر محمد بجاوي: النصر الدبلوماسي والسياسي للجزائر في 20 يونيو 1960،الثقافة،مجلة تصدرها وزارة لإعلام والثقافة،العدد83 (سبتمبر-أكتوبر1984)ص-ص 130-131 وذكر من بينهم 2071 ألمانيا،439 إسبانيا،و447 إيطاليا،87مجريا،42 يوغسلافيا،41 بلجيكيا،و43 سويسريا،29نمساويا،و17 هولنديا،و16 اسكندنافيا،9 إنكليز،7 من لكسمبورغ،5أمريكيين،3 يونانيين،1 كوري،1بلغاري.

وزير الإعلام والسياحة بالحكومة المغربية، وعقد بالمناسبة شوقي مصطفاي ندوة صحفية حضرها عدد هام من الصحفيين، أوضح خلالها تزايد حركة الفرار في صفوف اللفيف الأجنبي العاملين بالجيش الفرنسي، وأكد التزام الحكومة الجزائرية المؤقتة بإعادة هؤلاء لأوطانهم والسهر على احترام المواثيق الدولية وقدم في الأخير شكره العميق "لمسيري الهلال الأحمر المغربي على الإعانة التي قدموها لنا لتنظيم هذه الندوة الصحفية"[1].

أما في ليبيا فتواجد الجزائريين لم يكن معتبرا كما هو الحال بالنسبة لتونس والمغرب فهي لم تكن طريقا وموطنا للاجئين الجزائريين لبعدها وظروفها الطبيعية الصعبة لكن جبهة التحرير الوطني اهتمت بتنظيم الجالية الجزائرية بليبيا وأنشأت مصلحة الهلال الأحمر الجزائري سنة **1957**، حيث كانت تنشط بالطابق الأرضي من مبنى بعثة جبهة التحرير الوطني بطرابلس وتمثلت مهمة المكتب بتمثيل الهلال الأحمر الجزائري جمع التبرعات والمساعدات الإنسانية للاجئين وكلف المكتب بتنسيق نشاطه مع لجنة مناصرة الشعب الجزائري وكذا الإشراف على الشؤون الاجتماعية بقاعدة ليبيا من تقديم الإسعافات

---

[1] ـ ELMOUDJAHID:N°71(14 octobre 1960) T3,P,255,256.

للجنود والمساعدات لمدارس أبناء الشهداء وكان حضوره قويا بليبيا خاصة خلال أيام التضامن مع الجزائر فهو يراقب نشاط جمع التبرعات والمساعدات بليبيا[1].

وعليه فإن بلدان المغرب العربي ومنظماتها الإنسانية قدمت سندا مهما لنشاط الهلال الأحمر الجزائري ووطدت علاقاتها مع مسؤولي الثورة الجزائرية لخدمة المبادئ الإنسانية الفاضلة في ظروف الحرب، وبخاصة إسعاف اللاجئين وتأكيد صداقة المنظمات الدولية وإطلاق الأسرى.

ونخلص في الأخير مؤكدين على النقاط الرئيسية التالية:

- إن النظرة الاجتماعية للثورة الجزائرية عبرت بحق عن المطامح الإنسانية العميقة للجماعات البشرية ممثلة في الحرية والعدالة والتعاون وقد اصطبغ توجهها الاجتماعي جليا في رعايتها وتأطيرها للاجئين- مرآة كل ثورة إنسانية- في مؤسسات اجتماعية ضمنت لهم الاسقرار والعزة وأعادت لهم الأمل في الحياة.

---

[1] ـــ الصديق محمد الصالح: .. الشعب الليبي الشقيق في جهاد الجزائر،ط1، شركة دار الأمة،الجزائر،2000،ص7 13 وما بعدها.

- إن الثورة الجزائرية جسدت أبعاد إنسانية سامية في أدبياتها الثورية تمثلت في عنايتها بالإنسان، وحفاظها على مبادئ السلم والتعاون وحقوق الإنسان، وحرصها على كسب صداقة المنظمات الإنسانية ومراعاة المواثيق الدولية.

- لقي النشاط الإنساني للثرة الجزائرية ببلدان المغرب العربي دعما معتبرا وتشجيعا متواصلا، ولا شك أن الأبعاد السامية التي كرسها الهلال الأحمر الجزائري والمبادئ الاجتماعية الثورية التي عرفها مجتمع اللاجئين قد انعكست على أوضاع هذه البلدان الاجتماعية وأثرت على مواقفها السياسية في علاقاتها مع الثورة الجزائرية.